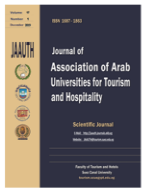

مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة
(JAAUTH)
المجلد 20، العدد 4، (2021)، ص 396-426.
الموقع الإلكتروني: http://jaauth.journals.ekb.eg

التخلُّق بالزَّعْفَران في مصر في عصر سلاطين المماليك (648- 923هـ/1250-1517م)

محمد حماد

المعهد العالي للسياحة والفنادق وترميم الآثار أبو قير الإسكندرية

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية

التخلق بالزعفران؛ الزعفران؛ عادات، مقياس النيل؛ طبقات المجتمع.

(JAAUTH)
المجلد 20، العدد 4، (2021)، ص 396-426.

الملخص

يمكننا أن ننظر إلى المسار التاريخي لأية حضارة من الحضارات باعتباره صيرورة تدريجية لانتقال أنماط العيش من البساطة وقضاء الضرورات إلى التعقيد وتنوع المتطلبات. وقد كانت الحضارة المصرية، بحكم أسبقيتها التاريخية، ذات سبق مميز في التقاط كل مادة من مواد الطبيعة تسهم في تحقيق الغنى الطقسي. حيث كانت الممارسات الطقسية من أهم ما ميّز الحضارة المصرية على مدار تاريخ مناشطها الاجتماعية والدينية، وتجلت صورها في العصر الإسلامي خاصة في الحقبة المملوكية، وفي زمن مبكر انتقلت أنماط التواصل الجمعيّ من مستوى السّعي لتوفير "ضرورات" العيش إلى مستوى الحرص على تحقيق "تحسينات" الحياة. سوف يكون مدخلنا لمعاينة جانب من جوانب هذا الشغف بالطقوس وتحقيق التحسينات هو رصد صفحات من التاريخ المصري في التخلُّق بالزعفران في مختلف المناسبات في العصر المملوكي. ويمكن أن نرصد ملاحظة أولية تشير إلى أن التخلُّق بالزعفران كان طقسًا يتم في مواقف اجتماعية متباينة في طبيعة مكونها الانفعالي ومتفاوتة في طبيعة أثرها النفسي، كما اخترق سلوك التخلُّق بالزعفران مجمل طبقات المجتمع المصري فقد مارسه الحكّام كما قام به أعضاء القاعدة العريضة من الشعب المصري أو عامة الناس. وتتمحور الدراسة الحالية حول تلك الحقبة التاريخية، مع البدء بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للتخلُّق بالزعفران، يليه توضيح الاستخدامات المتنوعة لنبات الزعفران. كذلك بعض الإشارات التي توضح أسبقية الحضارة المصرية القديمة لممارسة طقس التخلُّق بالزعفران حتى قيام الدولة المملوكية، التي صار التخلُّق فيها علمًا بارزًا بتنوع صوره فيها بين طبقات المجتمع في مختلف المواقف التي تعبر أحيانًا عن الفرح والسرور، وأحيانًا إظهار الشماتة، كما رصدت المصادر صور لتخلّيق الرسائل، والرايات، والملابس، والأكفان، والمنشآت المعمارية الدينية والمدنية بالزعفران.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للتخلُّق

التخلُّق فعل تَخَلقَ، على وزن تَفَعَّل، وله عدة معان منها: تكلَّفَ أن يُظْهِر من خُلقه بغير ما هو عليه، وتَخَلَّق بخُلق كذا أي تطبع به،[1] وتَخَلَّق أي تكذّب وتخلق بغير خُلقه[2]، وخَلَّق مَلَسَ وسَوّىَ،[3] وتخَلَّق من الخُلُق ويقال: تَخَلَّق فلان بِخُلُق الصالحين، أي يَتَخَلَّى بأخلاقهم،[4]وتَخَلَّق تدلك بالطيب وغيره،[5] وتَخَلَّق من الخَلُوقُ والخِلاقُ: نوع من الطيب، وقيل: الزعفران[6]، وقيل خلقت المرأة جسمها: طلته بالخلوق وهو طيب يتخذ من الزعفران[7]، ويميل لونه إلى الحمرة والصفرة،[8] وخَلَّق الشيء إذا طلاه بالخَلوق[9]وخَلَّقه تَخْليقًا: طَيَّبَهُ فَتَخَلَّقَ به[10] وفي حديث عمار رضي الله عنه قال :"خَلِّقوني بزعفران"، أي لطخوني بالخَلُوق وهو طيب من الزعفران، ويقال خَلَّقْتُه به فتَخَلَّق: أي تَلطَّخ [11]، والخَلُوق الطيب الذي يتخذ من الزعفران، وتغطي رائحته على غيرها وتجعل ريحه مقبولًا.[12]

(1)الفيروز آبادي(مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، (817هـ/1414م)، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت، ج2، ص229؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق، 2004م، ص252.

(2)ابن مهران العسكري(أبو هلال الحسن بن عبد الله)، (ت395هـ/1005م)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1997م، ص137؛ الحميري(نشوان بن سعيد)، (ت573هـ/1177م)، شمس العلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، 1999م، ج3، ص652.

(3)إبراهيم مصطفى، المرجع السابق، ص252.

(4)ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على)، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار المعارف، 1981 م، ج10، ص91.

(5) ابن سيده(أبي الحسن على بن إسماعيل)، (ت458هـ/1066م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج6، ص 754.

(6)الحميري، المصدر السابق ، ص652؛ ابن منظور، المصدر السابق، ص91؛ جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م، ص343.

(7) ورد تارة بإباحة استخدامه، وتارة بالنهي عنه، والنهي أكثر من الإباحة، وقد نهي عنه لأنه من طيب النساء وهن أكثر استخدامًا له، ولمزيد من التفاصيل راجع: البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، (ت256هـ/870م)، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2002م، ص1477، رقم الحديث 5846؛ ابن هبيرة (أبو المظفر يحيى بن محمد)، (ت560هـ/1165م)، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الوطن للنشر، مكة المكرمة، 1417هـ، ج5، ص261.

(8) ابن منظور، المصدر السابق، ص91.

(9) الحميري، المصدر السابق، ص652.

(10) المصدر السابق، ص 652؛ الرازي(محمد بن أبي بكر)، (ت666هـ/1268)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص95.

(11) الأصبهاني(محمد بن عمر بن أحمد)، (ت581هـ/1185م)، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1988م، ج1، ص611.

(12) محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة،2010م،ج1، ص603.

نبات الزعفران

الزعفران نبات عُشبي مُعمّر، بطيء النمو، أوراقه كثيرة رقيقة بها تجاويف، يتخللها ساق بنفسجية اللون رقيقة في حجم طول الإصبع في رأسه زهرة تحمل بداخلها ست شعرات بين الأحمر والأصفر ذات رائحة طيبة جدًا.[1] تعددت أسماؤه فعُرف بالجادي، والجِساد، والرَّيْهُقَان، والكُرْكُم، والرعبل، [2] كما عُرف في الهند باسم الهدركارا.[3] وفيها انتشرت زراعته، وجلبه أهل البصرة منها فتمت زراعته في بلاد الشام، وأطلقوا عليه "الزعفران"، ثم انتشرت زراعته في اليمن، ومصر[4]، وأفريقية، ومنها إلى المغرب، والأندلس، ثم إلى فرنسا، وبقية أنحاء أوروبا.[5] ولكثرة استخدامه وارتفاع قيمته في المجتمع المصري، ارتبط اسمه ببعض المنشآت الدينية، والمتنزهات، والدور، والقرى المصرية مثل: تربة الزعفران[6]، وخليج الزعفران،[1] ودار الزعفران، [2] وقرية الزعفرانة[3]، الزعفراني.[4]

(1) الإشبيلي (أبو الخير)، (ق6هـ/12م)، عمدة الطيب في معرفة النبات، تقديم وتحقيق: محمد العربي الخطابي، الرباط، 1990م، ج1، ص361–362؛ الغساني (أبو القاسم محمد بن إبراهيم)، (ت1019هـ/1611م)، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص108؛ عواطف عبد الباري، تذكرة داود= : دراسة شاملة لما ورد في التذكرة من أعشاب ونباتات في ضوء الطب والعلم الحديث، دار الطلائع للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص58–59.

Javadi, (B), Sahebkar (A), Emami(S), A Survey on Saffron in Major Islamic Traditional Medicine Books, Article in Iranian Journal of Basic Medical Science , Vol. 16, No. 1, Jan 2013,p2.

(2) ابن البيطار (ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد)، (646هـ/1248)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج2، ص467؛ النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، (ت733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج11، ص160؛ مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق ودراسة: محمد عيسى صالحية، إحسان صدقي العمد، ط1، الكويت، 1984م، ص323.

(3) مجهول، المصدر السابق، ص262.

(4) صُمّت المصادر عن التعرض لجغرافية زراعة الزعفران في مصر الإسلامية.

(5) ابن الجزار(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم)، (ت369هـ/979م)، كتاب في فنون الطيب والعطر، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق العسلي، بيت الحكمة، تونس، 2007م، ص135؛ طب الفقراء والمساكين، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق العسلي، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص312؛

Gsell,(S), Histoire de l'Afrique du nord, T. IV. La Civilisation Carthaginoise, Librairie Hachette, Paris,1920, p.39.

(6) تربة الزعفران، أنشأها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي(341–365هـ/952–975م) على يد جوهر الصقلي (ت381هـ/991م) وقد عرفت بأسماء مختلفة منها: تربة الزعفران، وتربة القصر، والتربة المعزية، وتربة الأئمة، لكن الاسم الشائع لها "تربة الزعفران". تقع هذه التربة في الزاوية الجنوبية الغربية للقصر الشرقي حيث دفن بها الخليفة المعز رفات أجداده الذين حملهم معه في توابيت من بلاد المغرب إلى مصر، كما دفن هو نفسه بها بعد دخوله مصر بثلاثة سنوات(365هـ/975م)، ثم صارت مدفنًا للخلفاء الفاطميين، ونسائهم، وأولادهم ثم طالتها يد العبث أثناء الشدة المستنصرية(457هـ –464هـ/1065م –1071م)، وقد جاءت نهايتها في عصر السلطان برقوق(784–801هـ/1382–1399م)، حينما نُبشت قبور الخلفاء الفاطميين وأُلقيت في المزابل وأقيم مكانها خان الخليلي. عن هذه التربة راجع: ابن المأمون(جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحي)،(ت588هـ/1192م)، نصوص من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1983م، ص40، 58؛ ابن الزيات (شمس الدين محمد)، (ت814هـ/1411م)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1907م، ص176–177؛ المقريزي(تقي الدين أحمد بن على)، (ت845هـ/1442م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط

ولم يكن استخدام المسمى للنبات في مصر ناتجًا عن ممارسة لغوية بعيدة عن مسارات الحياة، بل أتى هذا الاستخدام اللغوي تاليًا لتعدد استخداماته في مجالات مختلفة منها: الأطعمة، والأشربة[5]، والدباغة، والصباغة[6]، والطب، والصيدلة[1]، وأخيرًا التخلق به[2] الذي هو موضع الدراسة الحالية. وقد غطت ممارسة

المقريزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2002م، ج2، ص351؛ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، 1996م،ج2، ص173، ج3، ص 330؛ على مبارك، الخطط التوفيقة الجديدة، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، 1306هـ، ج2، ص22، ج4، ص65؛ أيمن فؤاد سيد، القاهرة خططها وتطورها العمراني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015م، ص113،112؛ سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1973،ج2، ص269؛ =

Fuʾād Saiyid, (A),La capitale de l'Egypte jusqu'a l'epoque fatimide al-Qāhira et al-Fusṭāṭ,Stuttgart ,Orient-Institut ,Beirut, 1998,P291.

(1) خليج الزعفران، أحد الخلجان المتفرعة من الخليج الكبير بالقاهرة ويسير باتجاه الريدانية "العباسية"، ويستمر في مساره شمالًا في شارع الخليفة المأمون الموازي لشارع العباسية، حتى يخترق الأرض المقام عليها جامعة عين شمس وبخاصة المبنى الإداري الذي كان في الأصل قصرًا بناه الخديوي إسماعيل سماه قصر الزعفران، ويتابع سيره شمالًا حتى يخترق أحياء منشية البكري، وسراي القبة، والزيتون، والمطرية التي كان يروي أرضها، وربما انتهى هناك أو اتصل بخليج آخر يتصل بالخليج الكبير. عن هذا الخليج راجع:(المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج6، ص 25، ج7، ص265، 346؛ محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط1، الآفاق العربية،1999م، ص224–225؛ جهاد عبد الوهاب شلبي وآخرون، قصر الزعفران بالقاهرة(1863–1879م) دراسة تاريخية سياحية، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة المنصورة،ع2، مج2، ديسمبر، 2017م، ص88–107).

(2) ورد مسمى "دار الزعفران" في ترجمة محمد بن أبي محمد المعروف بـ"شمس"(ت807هـ/1405م)، حيث كان يقيم بدار الزعفران بجوار جامع عمرو بن العاص. السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)،(ت902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج10، ص42.

(3) قرية الزعفرانة، ذكرها ابن الجيعان من أعمال الدقهلية وهي اليوم منطقة "حوض البلد" التابعة لناحية الخشاشنة. ابن الجيعان(شرف الدين يحيى بن المقر)، (930هـ/1524م) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1974م، ص48؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، تقديم: عمر الفاروق السيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م، ج1، ص66.

(4) قرية الزعفراني، أوردها ابن مماتي مرة من أعمال حوف رمسيس ومرة من أعمال محافظة البحيرة وقد أشار ابن الجيعان إلى قرية الزعفراني بأنها من أعمال محافظة البحيرة، وربما أن الاسم لقريتين مختلفتين تحملان نفس الاسم. ابن مماتي(الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا)، (ت606هـ/1209م)، قوانين الدواوين، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص97، 227؛ ابن الجيعان، المصدر السابق، ص120.

(5) الشيزري(عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله)، (ت590هـ/1194م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1946م، ص28، 41، 53؛ ابن الأخوة(محمد بن محمد بن أحمد القرشي)، (ت729هـ/ 1329م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص154، 156؛ النويري، نهاية الأرب، ج12، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص59، 75، 91، 94، 115، 122؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص483؛ سيرة الظاهر بيبرس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1996م، ج1، ص118.

(6) الشيزري، المصدر السابق، ص78، 101؛ ابن الأخوة، المصدر السابق، ص162؛ النويري، المصدر السابق، ج18، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت،2004م، ص188؛ سيرة الظاهر بيبرس، ج1، ص426.

التخلق بالزعفران مختلف الفضاءات العامة واخترقت مجمل جوانب الحياة في المجتمع المصري، في صورها الجماعية والفردية، كما سيتضح في الأسطر التالية:

صور التخلُّق بالزعفران في مصر حتى قيام الدولة المملوكية

اتسمت الحضارة المصرية القديمة بتنوع طقوسها، التي مُورِسَت على أرضها خلال المدى الزمني لحضارتها العريقة، فتركت بصمات واضحة أصبحت متأصّلة حتى بعد قيام الحضارة الإسلامية ومن هذه الطقوس، طقس التخلُّق بالزعفران. فرغم ندرة ما أشارت إليه المصادر عن هذا الطقس في العصور القديمة، لكن جذوره لا زالت قائمة روتها الحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة حتى نضجت ثمارها في الحقبة المملوكية، وقد دعمّت الصور التالية–رغم بساطتها– وجهة النظر السابقة، فكان لقدوم الوليد بن دَوْمَغ العَمْليقي[3] قرب الإسكندرية أثرًا في ظهور ممارسة هذا الطقس، فقد استقبلته حُوريا ابنة طُوطيس[4] بالترحاب والهدايا التي منها أصناف مختلفة من الرياحين، والفواكه، والدواب التي خُلّقت وجوهها بالزعفران ترحيبًا بقدومه. [5]

كذلك أشار المقريزي في ثنايا الحديث عن مدينة إخميم[6]، أن رجلًا جاء من الشرق قاصدًا معبد إخميم فلزم المقام به، وفي كل يوم يأتي إليه ببخور وخُلوق من الزعفران، ليُبخر ويُطّيب صورة مرسومة في عضادة باب[7] المعبد.[8]

(1) الشيزري، المصدر السابق، ص 46، 49؛ النويري، المصدر السابق، ج12، ص73، 92، 95، 114، 119، 188.
Marino (D), Raconter le haschich dans l'époque mamelouke. Étude et edition critique partielle de la Rāḥat al-arwāḥ fī l-ḥašīš wa-l-rāḥ de Badr al-Dīn Abū l-Tuqā al-Badrī (847-894/1443-1489), Università degli Studi di Napoli L'Orientale, these de doctorat, 2015, p47.

(2)النويري، المصدر السابق، ج12، ص31، 58، 73، 76، 79.

(3) الوليد بن دَوْمَغ العَمْليقي، يرجع نسبه إلى عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، حكمت هذه السلالة كثير من البلدان في بلاد الشام، والجزيرة العربية، ومصر الذي حكمها الوليد بعد أن استعبد أهلها، وخطب ملكتها حُوريا ابنة طُوطيس، وجاءت نهايته بأن هاجمه أسد في رحلة صيد أودت بحياته. أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل بن على)، (ت732هـ/1332م) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، 1907م، ج1، ص57؛ ابن أيبك الدواداري(أبو بكر بن عبد الله)، (ت736هـ/1336م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج2، تحقيق: إدوارد بدين، بيروت، 1994م، ص122، 124، 169، 166، 177.

(4) حُوريا ابنة طُوطيس فرعون سيدنا إبراهيم عليه السلام، تولت عرش مصر بعد أن قتلت أباها لبغُض الرعية له، وانتصرت على معارضيها في أتريب " قرب بنها" بزعامة أنداخس، وحينما أعتلّت صحتها عهدت بولاية عرش مصر لعمتها دليفة بنت مامون. ابن فضل الله العمري(شهاب الدين أحمد بن يحي)، (ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج25، تحقيق: مهدي النجم، بيروت، 2010م، ص56.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص396.

(6) إخميم، أو أخميم من أقدم المدن المصرية، تقع شرقي النيل، حاز معبدها المعروف ببربا إخميم –الذي هدم بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي– شهرة عظيمة، وهي الآن إحدى المدن التابعة لمحافظة سوهاج. البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج2، ص617؛ مؤلف مجهول؛ الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص84.

(7) عضادة الباب، هما الخشبتان المنصوبتان عن يمن الداخل وشماله. ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص294.

(8) المقريزي، الخطط، ج1، ص650.

وتصمت المصادر منذ تلك الحقبة التاريخية حتى نهاية **عصر الولاة**(21-254هـ/641-868م)، لنرى الكندي يَمُدنا بصورة عن التخلق بالزعفران في ولاية يزيد بن عبد الله(242-253هـ/857-867م) التي أعتاد فيها المصريين على تخلّيق ملابسهم بالزعفران، لكن لم تستمر تلك العادة في عصر الوالي التركي أزجور(254هـ/868م) الذي أعتبرها من ضمن العادات المحظور تداولها بين طوائف المجتمع.[1]

كما رُصدت صورة أخرى للتخلُّق بالزعفران في **مصر الطولونية** (254-292هـ/868-905م)، بدت واضحة في تخلّيق جامع أحمد بن طولون بالزعفران بعد الانتهاء من بناءه وتبيضه (263-265هـ /876-878م) على يد مؤسسه الوزير النصراني.[2] وقُبيل زوال الدولة الطولونية رسمت صورة التخلق بالزعفران، أحد صور الفرح والسرور التي انتشرت بين كثير من طوائف المجتمع، لظهور حركة محمد الخَلَنْجِي[3] الذي جسد طموح المصريين للحفاظ على بقايا الدولة الطولونية، وكان لانتصاره على جيوش الخلافة العباسية في أكثر من واقعة سنة(292هـ/905م)، أحد أهم الأسباب لتأييده جموع كثيرة من المصريين وبالغوا في الاحتفال به فتخلّقوا بالزعفران، وخلّقوا أيضًا وجه دابته ووجوه دواب أصحابه فرحًا بما أحدثه.[4]

وفي مصر الفاطمية(358-567هـ/969-1171م)، صار تخلّيق المقياس بالزعفران أحد أشهر مواكب الاحتفالات، التي شاركت فيها مختلف طوائف المجتمع وعلى رأسها الخلفاء والوزراء والأمراء[5]، كذلك ظهرت الرسائل المُخلّقة بالزعفران التي اعتبرت سمة من سمات الاحترام والتقدير، فرضتها التراتبية الإدارية بين الخليفة الفاطمي وكبار رجال الدولة، وتجلت ظهورها قُبيل الإعداد لمختلف الاحتفالات والمواكب.[6]

---

(1) الكندي(أبو عمر محمد بن يوسف)، (ت 350هـ/961م) الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص211.

(2) المقريزي، الخطط، ج4، ص61.

(3) أبو عبد الله المصري الطولوني محمد بن على الخَلَنْجِي، أحد الجنود المصريين الذين تخلفوا عن جيش الخلافة العباسية، وعاد من بلاد الشام إلى مصر، وكثر جمعه وأيده كثير من المصريين، وانتصر على جيش الخلافة في أكثر من واقعة حتى جاءت نهايته سنة(292هـ/905م) على يد عيسى النوشري بعد أن دام مُلكه سبعة أشهر واثنين وعشرين يومًا. ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)،(ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،1963م ، ج3، ص147-155.

(4) المصدر السابق، ص149.

(5) عن تخلّيق مقياس النيل في العصر الفاطمي راجع: المسبحي(محمد بن عبيد الله بن أحمد)، (ت420هـ/1029م)، أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق وتقديم: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1978م، ص55؛ ابن المأمون، نصوص، ص71-72؛ ابن الطوير(أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني)، (ت617هـ/1220هـ)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتايز شتوتغارت، 1992م، ص189-195؛ القلقشندي (أبو العباس احمد بن على)، (ت821 هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج4، ص47؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص538-541، 542، 571؛ قاسم عبدة قاسم، النيل والمجتمع المصري، دار المعارف، 1987م، ص43؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، 1999م، ص187؛ إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، 1997م، ص188.

(6) عن هذه الرسائل راجع: المقريزي، الخطط، ج2، ص436-438، 492-494، 595؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص94.

وفي مصر الأيوبية(569-648هـ/1174-1250م)، يغيب عن أعيينا صور التخلّق بالزعفران سوى إشارات بسيطة لتخليق المقياس[1]، وتخلُّق بعض السلاطين بالزعفران لإظهار الشماتة على حد ذكر بعض القصائد الشعرية.[2]

مما سبق يتضح تنوع صور التخلُّق بالزعفران بين تخلّيق الدواب، والمنشآت المعمارية، والبشر، والملابس، وهو ما أحدث تأثيرًا واضحًا-إلى حد ما-على الفترة موضع الدراسة.

تخلُّق طبقات المجتمع بالزعفران

تميزت الحياة الاجتماعية في مصر الإسلامية، بغنى طقوسها الاحتفالية والمناسباتية المختلفة، وقد تعددت صور الاحتفالات ذات الطابع المصري المميز، والتي تتجلى في ارتداء أزياء خاصة، أو تناول أطعمة وأشربة محددة، إضافة إلى عقد مجالس الاستماع إلى الغناء بأنواعه المختلفة، وقد كان لطقس التخلق بالزعفران نصيب بارز في العديد من المناسبات والاحتفالات الاجتماعية، والتي شاركت فيها طوائف العامة والخاصة على السواء بصور مختلفة، حيث رصدت ابتهاج العامة – مثلاً – بالإفراج عن أشخاص ذوي حظوة لديهم، فكان التخلق بالزعفران سلوكًا رمزيًا معبرًا عن فرحتهم واحتفالهم بهذا الحدث. ومن أمثلة ذلك ما حدث مع عليّ بن محمد بن عبد الله الطبلاوي[3] الذي أمر السلطان الناصر فرج بن برقوق(801-815هـ/1399-1412م) بالإفراج عنه في (رمضان سنة 803هـ/إبريل1401م) فسُرت العامة لهذا الأمر وأكثروا من التخلُّق بالزعفران.[4] وكذلك عندما أفرج السلطان قانصوه الغوري(906-922هـ/1501-1516م) عن الزيني بركات[5] في (جمادى الآخرة

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص161، 186.

(2) أوردت بعض القصائد الشعرية أحد صور التخلُّق بالزعفران، في قصيدة رثاء بهاء الدين زهير للسلطان الصالح نجم الدين أيوب (637-646هـ/1240-1249م)، تشير إلى تخلُّقه بالزعفران بقوله:

وأَظنُّ خَدّكَ شامِتًا لفراقِنا فلَقَد نظرتُ إليه وهو مُخَلَّقُ.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 337.

(3) على بن عبد الله بن محمد الطبلاوي، يرجع أصله إلى قرية طبلاوة من أعمال الوجه البحري، ورث عن عمه التاجر بهاء الدين ميراثًا كبيرًا، وولي كثير من المناصب مثل شد المارستان، وشد الدواوين، وولاية القاهرة سنة(793هـ/1391م)، اختلف في كثير من الأمور الخاصة بالدولة مع الظاهر برقوق في سلطنته الثانية، حتى اشتهر ذكره بين العامة، كما ولي أمير طبلخاناه سنة(797هـ/1395م) ثم حاجبًا ثم أستادار خاص السلطان، ومن كثرة ما تولى من مناصب وصف بـ"رئيس البلد"، حتى وُشي به إلى السلطان برقوق الذي أمر بسجنه ثم نفيه ثم الإفراج عنه ثم نفيه، وجاءت نهايته على يد الأمير تنم في(12 رمضان سنة803هـ/ 25إبريل1401م) بمدينة غزة. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت852هـ/1448م)، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، 1969م ، ج2، ص172 -174.

(4) المصدر السابق، ج2، ص173؛ أحمد ماجد عبد الله الجبوري، أحوال العامة في مصر في عصر المماليك البرجية(784-923هـ/1382-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة آل البيت، 2015م، ص46.

(5) الزيني بركات بن موسى، ولي الحسبة للسلطان قانصوه الغوري سنة(910هـ/1504م)، أوكل إليه السلطان مهمة إعلان إبطال ضريبة المشاهرة والمجامعة التي بلغت أربعين ألف دينار سنة(919هـ/1513م)، لكنه أعاد فرضها مرة ثانية فبلغت جباية الزيني بركات منها حوالي ستة وسبعين ألف دينار سنويًا، واستمرت سياسته الجبائية المعادية للمصريين حتى عُزل على يد= العثمانيين سنة(928هـ/1522م). ابن إياس(محمد بن أحمد)، (930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة

سنة918هـ/ سبتمبر1512م) واستدعاه للقلعة وأحسن استقباله، ونزل بموكب حافل وأوقدت له الشموع والقناديل، وأكثر العامة بالخلّوق بالزعفران ابتهاجًا بالإفراج عنه.[1]

كما رصدت المصادر موقفا آخر يتخلُّق العامة فيه ابتهاجًا وفرحًا بتقليد بعض الأشخاص –الذين حظوا برضا عام لدي العامة– مناصب رفيعة في الدولة، فحينما استدعى السلطان المؤيد شيخ المحمودي(815هـ–824هـ/1412–1421م) جلال الدين البلقيني[2] في(17 ربيع الأول822هـ/21إبريل 1419م) إلى مسجده ليعهد إليه بولاية القضاء، وعند خروجه استقبلته العامة استقبالًا حافلًا، وتخلقوا بالزعفران، ورشوا ماء الورد، وقادوا الشموع وأكثروا من الدعاء للسلطان لحسن اختياره للبلقيني.[3] وعندما أعّاد السلطان قايتباي(872–901هـ/1468–1496م) القاضي ابن مُزهر[4]إلى كتابة السر في(رجب 886هـ/سبتمبر1481م) استدعاه إلى القلعة وأحسن استقباله، ونزل بموكب حافل تخلّق فيه كثير من المقربين إليه بالزعفران.[5]

ولم يكن القاضي ابن مزهر بأحسن حال من السلطان الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي(901–904هـ/1496–1498م) الذي أُعيد للسلطنة في (جمادي الأخرة سنة 902هـ/فبراير1497م) فأقيمت الاحتفالات التي تخلّق فيها كثير من خدم القلعة بالزعفران.[6]

وقد ارتبط أيضًا التخلق بالزعفران تعبيرًا عن الفرح والابتهاج بعودة السلاطين وكبار رجال الدولة إلى مصر بعد رحلات قد تستغرق وقتًا طويلًا، فحينما انتشر خبر عودة السلطان الظاهر برقوق (784–790هـ/1382–1388م)، (792–801هـ/1390–1399م) من غزة إلى القاهرة سنة (792هـ/1390م) تخلق المماليك

العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983م، ج4، ص76، 304، ج5، ص492؛ أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن المماليك دراسة عن الرشوة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1979م، ص123؛ نجوى إسماعيل محمد، الحسبة في عصر المماليك(648–923هـ/1250–1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان، 2002م، ص74–75 ،125.

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص274.

(2) جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، ولد في القاهرة سنة(762هـ/1361م) وقيل (763هـ/1362م)، تلقى العلم منذ صغره على يد والده وكثير من الفقهاء، ولي القضاء أكثر من مرة ثم عزل في الفترة(804–822هـ/1402–1419م)، وأخيرًا استقر قاضيًا للقضاه حتى وفاته في (شوال 824هـ/أكتوبر1421م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص125–126؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2006م، ج7، ص197–203؛ الصيرفي(الخطيب الجوهري على بن داود)، (ت900هـ/1495م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، 1971م، ج2، ص523؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص106.

(3) المقريزي، السلوك، ج6، ص494؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص45.

(4) جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن مزهر، ولى نظر الخاص، ثم الحسبة، ثم كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده سنة (832هـ/1429م) ثم عزل عنها لصغر سنه، وأعيد إليها في عصر السلطان قايتباي. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص326؛ السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، (ت911هـ/1505م)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927م، ص143.

(5) ابن إياس، المصدر السابق، ج3، ص184.

(6) المصدر السابق، ص345

الظاهرية بالزعفران.[1]وعند عودة السلطان المؤيد شيخ المحمودي في (شوال سنة 820هـ/ديسمبر 1417م) من بلاد الشام إلى القاهرة استقبله حرمه بالخلّوق بالزعفران فكان يومًا حافلًا.[2]ولما عاد السلطان قايتباي من المدينة المنورة في(المحرم سنة885هـ/إبريل1480م)، استقبله خدم القصر متخلّقين بالزعفران وبيدهم الأعلام الحريرية الصفراء ابتهاجًا بعودته.[3] كذلك عندما رجع القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان[4]، نائب كاتب السر من مكة في(جمادى الأولى سنة 924هـ/يونيو 1918م) صعد إلى القلعة، وأحسن خاير بك[5] استقباله، ونزل بموكب حافل، وزينت حارته وتخلقت حاشيته والكثير من خاصته بالزعفران ابتهاجًا بعودته.[6]

واعتبرت السلطنة المملوكية التخلص من الأمراء المعارضين، من أهم الأحداث التي تحرص الدولة على القيام بمظاهر الاحتفال بها والتي كان للتخلّق بالزعفران نصيب فيها، فقد شهدت السلطنة المملوكية حركة الأمير منطاش[7]والقبض عليه في(شعبان793هـ/ يوليو1391م) وتنفيذ قرار السلطان برقوق بإعدامه في سجن حلب،

(1) المقريزي، السلوك، ج5، ص281 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص35.

(2) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج14، ص60-61.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص162.

(4) أبو البقاء شهاب الدين بن الجيعان أحمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني، نائب كاتب السر بمصر، عاش في رغد ونعمة، لكن ساءت أحواله بعد عام(923هـ/1517م) لادعائه السلطنة لنفسه، فسجن ثم شنق سنة(930هـ/1524م)، صنف كثير من الكتب منها: طوالع البدور في تحويل السنيين والشهور، قوانين الدواوين، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، مسائل الدموع على ما تفرق من المجموع، نزهة الناظر وطراز الدفاتر، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية. الغزي(نجم الدين محمد بن محمد)،(ت1061هـ/1651م)الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م، ج1، ص158؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت، ج1، ص140؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين ، 2002م، ج1، ص270.

(5) خاير بك بن ملباي المحمودي، أحد أمراء المماليك الجراكسة، وأول والٍ على مصر بعد الحكم العثماني، يرجع أصله إلى بلدة صمصوم بجورجيا، كان من مماليك السلطان قايتباي، ترقى في المناصب حتى وصل إلى حاجب الحجاب في عصر السلطان قانصوه الغوري ثم نائب لحلب، أتصل سرًا بالسلطان سليم العثماني وتحالف معه لإسقاط المماليك، وهو ما أدي للهزيمة في مرج دابق(922هـ/1516م)، لذا يطلق عليه المصريون لقب خائن بك، توفي سنة(928هـ/1521م). ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص209، 369، 482، 484 ،485؛ محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ص96.

(6) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص254.

(7) منطاش الأشرفي، اسمه الأصلي تمربغا، نُسب إلى الأشرف شعبان بن حسين(764-778هـ/1363-1377م)، ترقي في المناصب حتى صار أتابكًا، كما شارك في خلع السلطان برقوق وتنصيب السلطان الصالح حاجي مع الأمير يلبغا الناصري، وبعد أن أعيد السلطان برقوق لسلطنته الثانية أفرج عن يلبغا الناصري وكلفه بقتال منطاش الذي فر إلى شمس الدين محمد بن حيار "نعير" أمير العرب، وقد طلب السلطان تسليمه فسلمه إليه فسجنه في حلب ثم قتله سنة(795هـ/1393م). ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م، ج6، ص128-130؛ أحمد ماجد عبد الله، أحوال العامة، ص44-45.

ولما وصلت أخباره إلى مصر أقيمت الاحتفالات وتخلّق كثير من الأمراء والمماليك بالزعفران احتفالًا بنهاية فتنته.[1]

وكان للشفاء من الأمراض التي أصابت كثيرا من السلاطين وكبار رجال الدولة، مَسَرَّة كبيرة لدى العامة والخاصة على حد سواء، فكان لتخلقهم بالزعفران أحد صور هذا السرور، فعندما شُفي السلطان المؤيد شيخ المحمودي من مرضه الذي اشتد عليه في(29شوال823هـ/14 نوفمبر 1420م)، سُرت العامة بشفائه وتخلقوا بالزعفران، وزينوا القاهرة، وكثيرا من المدن المصرية احتفالًا بشفائه.[2]وكان لشفاء الظاهر ططر (824هـ/1421م) في (3ذي القعدة824هـ/7 نوفمبر 1421م) من مرضه نصيب أيضًا من تخلُّق العامة بالزعفران.[3] وكان لمجرد الشعور بالتحسن الجزئي من المرض الذي أصاب الظاهر خشقدم(865-872هـ/1461-1467م) في (ربيع الأول872هـ/أكتوبر 1467م)، ابتهجت خاصته في القلعة وتخلقوا بالزعفران.[4]

كما سُر خدم السلطان قايتباي وتخلقوا بالزعفران، بعد أن شفيت ساقه وركب لصلاة الجمعة في(صفر 876هـ/يوليو 1471م)،[5] وتكرر تخلق الخدم احتفالًا بشفائه أيضًا في (جمادي الأولى891هـ/مايو 1486م).[6] وبعد تكذيب خبر فُقدان السلطان قانصوه الغوري بصره، وشفائه وخروجه لصلاة الجمعة في(جمادى الآخر سنة 919هـ/أغسطس1513م) سُر الناس بذلك، وتخلّق الخدم والغلمان بالزعفران ابتهاجًا للشفاء.[7]

ولم يقتصر تخلق طوائف المجتمع بالزعفران ابتهاجًا لشفاء السلاطين فقط، بل نرى أن ابن إياس رصد لنا صورة لتخلق العامة بالزعفران ابتهاجًا لشفاء ناظر الخاص[8] يوسف بن بركة[9] الذي تم استدعاؤه للقلعة وهنأه السلطان

(1) ابن الفرات(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم)، (ت807هـ/1405م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، المطبعة الأمير كانية، بيروت، 1938م، مج9، ج2، ص262-263؛ المقريزي، السلوك، ج5، ص310.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص104.

(3) المصدر السابق، ص205.

(4) المصدر السابق، ص454؛ محمود رزق سليم، النيل في عصر المماليك، دار القلم، القاهرة، 1965م، ص53.

(5) المصدر السابق، ج3، ص62-63.

(6)المصدر السابق، ص229.

(7) المصدر السابق، ج4، ص325؛ أحمد ماجد عبد الله، أحوال العامة، ص55.

(8) ناظر الخاص، هو رئيس الديوان الذي أنشأه الناصر محمد بن قلاوون سنة(710هـ/1311م)، ومهمة صاحبه النظر في خاصة أموال السلطان، ومتابعة البلدان التي يُحصّل منها تلك الأموال ثم حملها وجمعها في خزانة الخاص، وله سلطات واسعة حتى صار كالوزير لقربه من السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص30؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1983م، ص40.

(9) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الكريم بن بركة، ولد بالقاهرة سنة(819هـ/1416م)، حفظ القرآن الكريم، وتفقه في علوم الدين، وصار شافعي المذهب، كما برع في الكتابة والحساب، ولي الوزارة للسلطان برسباي سنة(838هـ/1435م)، لكنه عزل عنها في نفس السنة، ثم ولي نظر الخاص سنة(841هـ/1438م)، وصارت كثير من شؤون الدولة في يده، كما أضيف إليه= نظر الجيش، توفي سنة(862هـ/1457م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص325-328؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م، ج2، ص804؛ النجوم الزاهرة، ج16، ص197؛ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال عز الدين، ط1، عالم الكتب، 1990م ، ج2، ص383؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10،

الملك الأشرف إينال(857–865هـ/1453–1461م) بشفائه، وعند نزوله أعد له موكبًا حافلًا شهدته كثير من العامة الذين تخلّقوا بالزعفران فرحًا لشفائه.[1]

ورغم كل هذه المظاهر التي تجسد المكنون الانفعالي لبلوغ أقصى درجات الفرح والسعادة، يبقى الاحتفال بالانتصار على الأعداء تاج هذه المظاهر ويكون للتخلق بالزعفران أثر واضح في ذلك الاحتفال، فقد شهدت القاهرة هذه الصورة بعد انتصار السلطان برسباي(825–841هـ/1422–1438م) في حملته البحرية على قبرص سنة (829هـ/1426م) وأسر ملكها والكثير من الجنود القبارصة والعودة بهم مُصَفَّدين بالأغلال – ثأرًا لما أحدثوه في حملتهم على الإسكندرية سنة (766هـ/1365م) في عهد الأشرف شعبان (764–778هـ/1363–1377م) – وزُينت القاهرة احتفالًا بذلك الانتصار وبالغ العامة في تخلّقهم بالزعفران[2] لدرجة أنه قلما وجدت حارة أو درب إلا وكان التخليق فيها علمًا واضحًا.[3]

وقد شهد الاحتفال بالعام الهجري الجديد، أحد صور التخلق بالزعفران ابتهاجًا واستبشارًا بقدومه، فقد هنأ القضاة والعلماء السلطان الظاهر خشقدم بمناسبة العام الهجري الجديد(867هـ/1462م)، وأقيمت الاحتفالات التي تخلق فيها الطواشية[4] بالزعفران.[5]

ورغم تسليط الضوء في كثير من المصادر على تخليق المقياس، لكن نجد إشارة لتخلق العامة بعضهم بعضًا بالزعفران ابتهاجًا لوفاء النيل سنة(855هـ/1451م).[6]

كما صاحب التخلق بالزعفران أحد صور السلوكيات المنافية للأخلاق، كإظهار الشماتة لما يُلحق بالآخرين من نكبات ومصائب، فقد تخلق بنو مجد الدين البقري[1] بالزعفران شماتة لمقتل يشبك الدوادار سنة(893هـ/1487م)

ص 322–323؛ وعنه أيضًا راجع: عادل شريف علام، الأعمال المعمارية ليوسف بن عبد الكريم بن بركه الشهير بالجمالي يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، 1982م، ص22–64.

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص335.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص299.

(3) المصدر السابق ، ص302؛ عن هذه الحملة البحرية راجع: إبراهيم على طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م، ص99–101؛ حسن حبشي، هجوم القبارصة على الإسكندرية(767هـ/1365م) من نصوص جديدة للنويري، المجلة المصرية التاريخية، مج15، 1969م، ص1–35؛ حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك(687–784هـ/1279–1382م) دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1994م، ص97–99؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص32–33؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس، بيروت، 1997م، ص516–521.

(4) الطواشية، جمع طواشي، وهو لفظ تركي أصله طابوشي، وحرفته العامه إلى طواشي، وهم الخصيان، وهم على ثلاثة أنواع الممسوح، والخصي، والمجبوب. السبكي(تاج الدين عبد الوهاب)، (ت771هـ/1370م) معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، 1948م، ص39؛ أسيا بنت سليمان النقلي، الطواشية ودورهم في دولة سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع22، 2007م، ص34–68.

(5) ابن إياس، المصدر السابق، ج2، ص400.

(6) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج2، ص 330.

على يد مجد الدين.[2] ولما ثارت نار الفتنة بين المماليك الجلبان[3] وبين السلطان قانصوه الغوري في(المحرم سنة922هـ/ فبراير1516م) لإلغاء ضريبة المشاهرة والمجامعة وهي ضريبة شهرية كان يدفعها التجار للمحتسب لتوضع في الخزينة السلطانية، وكانت هذه الضريبة تضاف على قيمة السلعة وبناء عليه كان المستهلك هو من يتحملها في النهاية، وقد أظهر السلطان في البداية الموافقة على إلغاء الضريبة لكنه تراجع عن قراره وأقر الضريبة، وخرج الزيني بركات ليعلن بقاء المشاهرة والمجامعة بل أن الزيني بركات غالى في تنفيذ أوامر السلطان وأكثر من إثارة غضب المماليك الجلبان بأن خلّق حاشيته بالزعفران في عمائهم وتجولوا في شوارع القاهرة نكاية في المماليك الجلبان الذين توعدوا للزيني بركات بالقتل إزاء هذه الفعّلة.[4] كذلك سُر بنو طومان باي وتخلّقوا بالزعفران، حينما تم القبض على حسن بن مرعي وابن أخيه شكر[5]– وهما ممن وشى بالسلطان طومان باي – وقتلهما والتمثيل بهما وتعليق رؤوسهما على باب النصر سنة(925هـ/1519م).[6]

تخلّيق الرسائل بالزعفران

ازدهر فن الرسائل في العصر المملوكي، وتنوعت موضوعاتها بين السياسية، والاجتماعية، والعلمية، واعتبرت الرسائل السياسية الوسيلة الأولى لمعرفة كافة الأخبار الهادفة لصون وحماية أمن الدولة، ومن هذه الرسائل ما يُبشر بالانتصار على الأعداء، فيرغب كاتبها بإشعار قارئها ببلوغ أقصى درجات الفرح والسرور، فيعمد إلى تخلّيقها بالزعفران، وقد شهدت مصر المملوكية نموذجا لهذه الرسائل التي حملتها الطيور من بلاد الشام، لتُبشر

(1) مجد الدين البقري، يرجع أصله إلى القبط واسمه شاكر بن علم الدين، ولي الأستادارية والوزارة للسلطان قايتباي أكثر من مرة، اتسمت شخصيته بالعسف والظلم، توفي سنة(893هـ/1488م). ابن إياس، المصدر السابق ، ج3، ص249.

(2) المصدر السابق، ج3، ص248.

(3) المماليك الجلبان، ترجع أصولهم إلى فرقة مغولية عرفت بالأويراتية نزحت إلى بلاد الشام، واستقدم السلطان العادل كتبغا(٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م) كبار أمرائهم إلى مصر سنة(695هـ/1295م)، ومنذ ذلك التاريخ بدأت تفد جماعات كثيرة منهم إلى مصر، وقدم لهم السلطان العادل كثير من الدعم المادي والمعنوي رغم وثنيتهم، اضافة إلى سوء أخلاقهم مما سبب كثير من المتعب للسلطنة. المقريزي، السلوك، ج2، ص317؛ وللمزيد راجع: فتحي سالم حميدي، المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية(678-922هـ/1279-1516م)، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج8، ع4، 2009م، ص 265-287؛ عبد العزيز بن فايز بن حسن القبلي، تمردات المماليك الجلبان ومدلولاتها السياسية والاقتصادية في عهد السلطان قايتباي، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ع39 ، 2019م، ص216-267.

(4) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص7؛ حياة ناصر الحجي، أحوال، ص105.

(5) حسن بن مرعي وابن أخيه شكر من مشايخ البحيرة، ارتبط طومان باي بصداقة قديمة مع حسن بن مرعي، وحينما هزم طومان باي فى موقعة وردان سنة(923هـ/1517م) لجأ إليه وأخذ عليه العهود والمواثيق بعدم الغدر والخيانة، لكن نقض حسن بن مرعي وابن أخيه ذلك العهد، وأخبر السلطان سليم بمكانه فقبض عليه وأعدم في (21ربيع الأول923هـ/23ابريل1517م)، وقد تم القبض على حسن بن مرعي وابن أخيه على يد إينال السيفي وتم قتلهما والتمثيل بهما في (ربيع الأول 925هـ/مارس1519م). ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص295-296؛ ابن زنبل الرمال،(ت979هـ/1572م)، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998م، ص30-31؛ السيد محمد الدقن، السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، 2003م، ص87-88.

(6) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص296.

بالانتصار على التتار سنة(680هـ/1282م).[1] كما جسدت الرسائل المُخلّقة بالزعفران أحد صور الشرعية السياسية لمُدعي السلطنة الذين حاولوا استئلاف قلوب كثير من العصبيات القبلية بهذه الرسائل للفوز بعرش السلطنة، فقد جاءت وفاة السلطان قانصوه الغوري سنة(922هـ/1516م) فرصة لادعاء شخصًا في (ربيع الآخر924/ إبريل 1518م) أنه هو نفسه السلطان الغوري، وسار يمارس صلاحياته السياسية، ويكتب كثير من الرسائل المُخلّقة بالزعفران، ويرسلها إلى مشايخ العربان لضمان تأييدهم.[2]

تخلّيق الرايات بالزعفران

شهدت حقب التاريخ المختلفة كثيرًا من الحروب بين الدول وبعضها، وبين الدول والمنشقين عليها، وقد مثّلت الراية المرفوعة في الحرب علامة مهمة من علامات قدرة القائد على إدارة المعركة أو إشارة إلى تحقيق النصر النهائي على الأعداء، لكننا نرى إضافة مصر المملوكية لهذه الرايات أن تم تخليقها بالزعفران احتفالًا بالانتصار على الأعداء، مثلما انتصر السلطان الناصر فرج بن برقوق على تمرد الأميرين جكم[3]ونوروز[4] في(شوال804هـ/مايو1402م)، ورجع إلى القلعة ومعه كثير من أمرائه، وقضاته الأربعة، والأمراء المأسورين؛ وقد تقدمت أمامه الرايات المُخلّقة بالزعفران، وهنأه كثير من الشعراء والعامة بهذا النصر.[5]

وقد تُخلَّق الرايات ابتهاجًا بوقوع حدث عظيم يؤثر على منحنى حياة العامة والخاصة على حد سواء، ففي (شوال866هـ/ يوليو1462م) حينما توجه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني[6] إلى مقياس النيل لصلاة

(1) المقريزي، السلوك، ج2، ص149.

(2) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص 250.

(3) جكم بن عبد الله من عوض الظاهري، ولي أمير طبلخاناه في نهاية عصر السلطان برقوق، ثم رأس نوبة في عصر السلطان فرج بن برقوق، ثم دوادار، ثم اعتقل وأطلق سراحه واستطاع السيطرة على حلب، وتآمر مع كثير من الأمراء على السلطان فرج فانتصر عليه السلطان ثم انتصر جكم، وسيطر على دمشق والرها وحماه وكثير من القلاع في بلاد الشام، ثم قتل بالقرب من آمد سنة (809هـ/ 1406م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص313-324؛ الدليل الشافي، ج1، ص247؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص232؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج2، ص364؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص76.

(4) نوروز الحافظي الظاهري برقوق، ولي رأس نوبة ثم خاصكيًا ثم أمير آخور، قبض عليه بسبب سعي بعض الأمراء به عند السلطان فرج بن برقوق سنة(801هـ/1398م) لرغبته في الثورة عليه، فسجن في الإسكندرية ثم نقل لدمياط وأفرج عنه في السنة التالية، ثم ولي رأس نوبة وناظر الشيخونية، واستمر متقلبًا في الفتن الدائرة في الدولة المملوكية حتى قتل في (ربيع الأول817هـ/ يونيو1414م). ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص50؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص34-39؛ الدليل الشافي، ج2، ص762؛ النجوم الزاهرة، ج14، ص128؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص204.

(5) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 653.

(6) علم الدين صالح بن عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، ولد بالقاهرة سنة (790هـ/1388م)، تربي على يد والده وأخيه قاضي القضاة جلال الدين الذي تفقه على يده، ولي قاضيًا للقضاة سنة (825هـ/1422م) ثم عزل وولي أكثر من مرة، وتوفي سنة(868هـ/1463م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص327-329؛ الدليل الشافي، ج1، ص351؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص312-314؛ السيوطي، نظم العقيان، ص119.

الاستسقاء وظل هناك ثلاثة أيام متضرعًا خاشعًا، زاد النيل بمقدار إصبعين، وعند رجوعه تقدمته الرايات المخلقة بالزعفران، وأحسنت العامة استقباله، وأُعيد إلى القضاء بعد أن عُزل منه. [1]

استخدمت أيضًا الرايات المخلّقة للتعبير عن حسن استقبال المعارضين الذين تسعى الدولة لاستمالتهم وإعادتهم إلى حظيرة سُلْطتها، فقد نجح خاير بك في (10ذي القعدة923هـ/3ديسمبر1517م) في استدعاء شيخ عربان الشرقية عبد الدايم بن أحمد بن بقر[2] المتمرد على السلطة المملوكية منذ أيام السلطان قانصوة الغوري، وذلك بعد أن عهد له بالأمان، فأحسن استقباله ونزل بموكب حافل من القلعة تتقدمه الرايات المخلّقة بالزعفران.[3]

تخلّيق الملابس والأكفان بالزعفران

ولطيب رائحته كان للملابس نصيبٌ من تخلّقها بالزعفران، برهنت على ذلك بعض القصائد الشعرية المتبادلة بين محمد بن دانيال[4]وبعض ولاة مصر مما يرجح انتشار ذلك الاستخدام في مصر المملوكية.[5]

كذلك كان للأكفان نصيبٌ من تخلّقها أيضًا، فقد أورد السخاوي في ثنايا ترجمة على بن محمد بن عيسى[6] تعرضه لحادث غريب هو أن شخص مكفن بكفن مخطط بالزعفران "على العادة" أخذ يطير في الهواء حتى سقط على رأسه، مما يؤكد اعتياد المصريين على تخليق الأكفان بالزعفران.[7]رغم أننا لم نرصد سوى هذه الصورة فقط.

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ج2، ص 395.

(2) عبد الدايم بن أحمد بن بقر، شيخ عربان الشرقية بدأ تمرده على السلطة المملوكية في عصر السلطان قانصوة الغوري، استغل فترة الفوضى والاضطراب أثناء دخول العثمانيين مصر، وقام بكثير من أعمال السلب والنهب التي جمع خلالها ما لا يحصى من الأموال، استدعاه خاير بك بعد أن أمّنه وصار تحت طاعته، لكنه عاد مرة ثانية للعصيان فقتل على يد إبراهيم باشا(931هـ/1525م). ابن إياس، المصدر السابق،ج5 ، ص221–222؛ شلبي(أحمد عبد الغني)، (ت1150هـ/1737م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات الملقب "بالتاريخ العيني"، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978م، ص105.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص 221.

(4) شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف المراغي الموصلي، نبغ في الشعر، والأدب، كما برع في طب العيون، اشتهر بأخباره ورواياته النادرة، توفي بالقاهرة سنة(710هـ/1311م). الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك)، (ت764هـ/1363م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: نبيل أبو زيد وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م، ج4، ص424–424؛ ، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2000م، ج2، ص51؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص175–176.

(5) أشارت قصيدة الشاعر الأديب محمد بن دانيال، إلى استخدام الزعفران لتخلّيق الملابس به في بعض قصائده بقوله:

لَولاَ خُلوق ثَوبـه لَكدت أنّ أُخَلِّقُـهُ.

الصفدي، أعيان العصر، ج4، 427.

(6) على بن محمد بن عيسى العلاء الدمشقي، درس الفقه على يد بعض علماء الشام، وتصوف على يد شيخه قطب الدين الإصفهبندي، قدم إلى القاهرة واشتغل بالتدريس والإفتاء، كما حج وزار بيت المقدس، وتوفي سنة(803هـ/1401م). السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص5–6.

(7) المصدر السابق، ص6.

تخلّيق المنشآت الدينية والمدنية بالزعفران

أولًا: الركن المُخلّق بالزعفران

يطلق هذا الاسم على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحري للقصر الكبير بالحائط الغربي له. وهذا الركن موضعه اليوم الزاوية البحرية الغربية للمنزل رقم11 بشارع التمبكشية تجاه دورة مياه الجامع الأقمر، وبأسفل هذا المنزل مسجد قديم يُعرف بمعبد موسى.[1] وسمي بالركن المخلق، لظهور حجر[2]سنة (660هـ/1262م) مكتوب عليه "هذا مسجد موسى عليه السلام"، فخُلّق بالزعفران، ومنذ ذلك اليوم سُمي بالركن المُخلّق. وقد أشار الأمير يلبغا السالمي،[3] أنه قرأ بعتبة باب الجامع الأقمر اسم مختلف للركن المخلق هو "... والحوانيت التي بالركن المَخوَّق" والمخوق تأتي من الخوقاء، وهي الصحراء التي لا يوجد بها ماء، وأخوق "واسع"، ويُحتمل تسميته بالمخوق بمعنى الاتساع، فكان ركنًا متسعًا في بناء واسع، وسمي بعد ذلك بالمخلّق، لتخليقه العامة بالزعفران. [4]

وقد شهد الركن المخلّق[5]على بعض أحداث الفتن والاضطرابات في مصر المملوكية مثل: الاضطرابات التي قام بها الأميران يلبغا،[6] ومنطاش سنة (791هـ/1389م) اللذان دخلا القاهرة ومعهما جمع كبير من العربان

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج4، ص34، حاشية(4).

(2) يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، بنقش بارز على قطعة من الرخام تحت رقم 6901، مؤرخة بسنة(660هـ/1262م) تشمل ثلاثة أسطر بخط النسخ المملوكي" أمر بفتح هذا المسجد المبارك الذي يسمى معبد موسى عليه السلام مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه و...". تعليق أيمن فؤاد سيد، المقريزي، الخطط، ج2، ص345؛

Wiet, (G), Catalogue général du musée de l'art islamique du Caire, inscriptions historiques sur pierre, Le Caire : Institut Français d'Archéologie Orientale, 1971,pp56-57.

(3) الأمير سيف الدين أبو المعالى يلبغا بن عبد الله السالمي، من مشاهير الأمراء في عصر الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج، يرجع أصله إلى سمرقند، سبي ثم بيع إلى أحد التجار الذي حمله لمصر، فاشتراه الأمير برقوق قبل سلطنته وسماه يلبغا ونسبه إلى التاجر "سالم" الذي اشراه منه، وسار من حاشيته، درس علم الحديث على يد كثير من المشايخ في حلب، ودمشق، والقاهرة، اتسمت شخصيته بالتدين مع سرعة الانفعال، والاستبداد بالرأي، وُلى دويدارًا لأمير صفد قطلوبك النظامي، ثم صار من المقربين للسلطان برقوق في سلطنته الثانية لمساعدته إياه على الرجوع لحكمه سنة(792هـ/1392م) حتى صار أحد أعضاء مجلس الأوصياء على ولده، ثم وُلي العديد من المناصب منها أستادار في عهد السلطان فرج، ثم أمير عشرة، ثم أمير مائه، ثم مقدم ألف، ثم وزيرًا، وتوفي سنة (811هـ/1408م). المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج3، ص543-549؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص174-178؛ وللمزيد راجع: مسعد سيد محمد كتبي، الأمير المملوكي يلبغا السالمي حياته وجهوده (ت811هـ/1408م)، مجلة كلية اللغة العربية، المنصورة، ع 35، مج2، 2016م، ص927-984.

(4)المقريزي، الخطط، ج2، ص345؛ العيني(بدر الدين محمود)، (ت855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، عصر سلاطين المماليك، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، 2010م، ص333.

(5) شَرُفَ الركن المخلق بنزول رأس سيدنا الحسين بن على(4-61هـ/626-680م) رضي الله عنهما به سنة (549هـ/1154م)، بعد أن كانت في كربلاء، ثم نقلت إلى دمشق ثم إلى عسقلان، وقد خشي الخليفة الفاطمي الظافر(544-549هـ/1149-1154م) عليها من الفرنج أثناء سيطرتهم على عسقلان لذا أمر بنقلها إلى مصر، فنقلت إلى مسجد موسى بالركن المخلق مؤقتًا حتى تم إنشاء المشهد الخاص بها. ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص227

(6) يلبغا بن عبد الله الناصري، من كبار مماليك يلبغا العمري أستاذ السلطان برقوق، ترقي في المناصب حتى صار أمير طبلخاناه، ثم أمير مائه، ومقدم ألف، انقلب على السلطان برقوق بمساعدة الأمير منطاش، وخلعاه وحبساه في الكرك سنة(791هـ/1389م) وأعادا

والتركمان، وعاثوا فيها فسادًا من باب النصر حتى الركن المخلّق.[1] وكان أيضًا شاهد عيان على الخلاف الدائر بين الأمير يلبغا السالمي، والفقيه العبادي[2] سنة(797هـ/1395م)، لقطع يلبغا أرزاق خمسين رجلًا من خانقاة سعيد السعداء[3] كان من ضمنهم العبادي الذي غضب تجاه هذا القرار بل واتهم يلبغا بالكفر، فتصادف أن يلبغا وجد العبادي يومًا راكبًا جواده عند الركن المخلق فجره من كمه ثم طلب الاحتكام للسلطان برقوق فيما فعله وما اتُهم به.[4]

ثانيًا: تخليق مقياس النيل بالزعفران

ظل النيل، طوال تاريخ الحضارة المصرية، حارسًا أمينًا على ضمان استمرارية الحياة بشتى صورها، كما كان وسيلة من وسائل تدمير العمران على ضفتيه عند ارتفاع منسوبه عن مستوى المعتاد، وظل المصريون على وعي بتلك الأهمية التي يمثلها النيل؛ لذلك فقد كان الاهتمام بقياس مستوى تدفق مياه النيل من أهم قواعد صون مسيرة الحياة اليومية؛ بهدف التحسب لأية تغييرات تطرأ على هذا التدفق. فكان لمقياس الروضة الذي أُنشأ سنة (247هـ/861م) في عصر الخليفة المتوكل العباسي(232-247هـ/846-861م)[5] الدور الأمثل في حساب

السلطان الصالح حاجي(783-784هـ/1381-1382م)، (790-792هـ/1388-1390م)، وصار يلبغا مدبر شؤون مملكته، ثم صار الأمر للنزاع بين يلبغا ومنطاش، فقبض منطاش على يلبغا، وسجنه في الإسكندرية، ثم أُطلق سراحه على يد السلطان برقوق حينما عاد للحكم مرة ثانية سنة(792هـ/1390م)، ثم أرسله لقتال منطاش في بلاد الشام بعد أن جعله نائبًا على دمشق، لكنه في النهاية قبض عليه وقتله في قلعة حلب في نفس السنة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج6، ص206-212؛ إنباء الغمر، ج1، ص412-416، 431؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص126-128؛ الدليل الشافي، ج2، ص793.

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص405.

(2) شهاب الدين العبادي أحمد بن أبي بكر بن محمد، درس الفقه على يد سراج الدين الهندي، ترقى في المناصب حتى كتب في توقيع القضاة، وناب في حكم القاهرة، توفي سنة(810هـ/1407م). المقريزي، درر العقود، ج1، ص358-359؛ ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، القاهرة، 1992م، ص63.

(3) خانقاة سعيد السعداء، نسبت هذه الخانقاة إلى أحد الاستاذين المحنكين بقصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يدعى سعيد، وتقع مقابلة لدار الوزارة الفاطمية، أوقف صلاح الدين الأيوبي هذه الدار على فقراء الصوفية سنة(569هـ/1174م). ابن عبد الظاهر(محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين)، (ت692هـ/1292م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط1، الدار العربية، القاهرة، 1996م، ص49؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص364؛ سعاد ماهر، القاهرة القديمة وأحياؤها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، أكتوبر، 1962م، ص72؛ أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، 2007م، ص304؛ عبير عنايت سعيد، خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية(648-784هـ/1250-1382م)، مجلة الأستاذ، ع203، 2012م، ص1458-1462.

(4) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1، ص492-493.

(5) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي)، (ت626 هـ/1229م)، معجم البلدان، بيروت، د.ت، ج4، ص304؛ ابن ظهيرة(محمد قطب الدين أبو الخير)، (ت910هـ/1505م)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، ملتقى أهل الأثر،1969م، ص 178.

ارتفاع أو انخفاض منسوب مياه نهر النيل،[1] وقد حظي هذا المقياس بنصيب وافر من الاهتمام والاحتفال به إثر الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج، فتكون الأولي مرتبطة ارتباطًا أساسيًا بالمقياس وذلك بتخليقه بالزعفران، ثم يتم بعدها كسر الخليج. [2]

ولم تكن عملية تخلّيق المقياس وليدة العصر المملوكي، بل كان للفاطميين أسبقية في تلك الممارسة التي أبطلت عادة مصرية قديمة – مرتبطة بوفاء النيل– وهي إلقاء فتاة بكر جميلة مزينة بأفضل الثياب والحلي في مياه النيل، واستمرت تلك العادة حتى مجيء العرب المسلمين الذين اكتفوا بإلقاء بطاقة فيها بعض الصيغ الدينية والقرآنية احتفالًا بوفاء النيل. [3] وقد استمرت تلك العادة الفاطمية في مصر المملوكية، فتكون البداية عند وفاء النيل بستة عشر ذراعًا بحضور موكب الاحتفال وعلى رأسه السلطان الذي يركب من القلعة، ويتوجه إلى المقياس، ويدخل إليه من بابه، ويتم إعداد مائدة طعام يتوجه إليها السلطان ومن معه من الأمراء والمماليك، وعند الانتهاء من الطعام، تتم عملية تخلّيق المقياس بأن يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس[4] الذي يسبح في فسقية المقياس حتى يقترب من العمود، فيخلّقه بيده اليمني، ثم يُخلّق جوانب الفسقية، وفي الوقت ذاته تكون حراقة[5] السلطان الذهبية وحراريق الأمراء قد زينت بأنواع الزينة المختلفة، ويفتح شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط ويُعلق عليه سِّتر، ثم يؤتى بحراقة السلطان إلى ذلك الشباك، فينزل منه السلطان ويسبح وحراريق الأمراء تحيط به، وتشاهده العامة فوق ظهور المراكب، ثم تتبعه في المسير حتى يصل إلى فم الخليج،

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص47؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص539؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج1، ق1، ص362؛ مصطفى وجيه مصطفى إبراهيم، الاحتفالات القومية صورة من صور التعايش السلمي في مصر زمن الدولة الفاطمية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، ع48، 2018م ، ص656.

(2) القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص47؛ المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص539؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج1، ق1، ص362؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية(648–923هـ/1250–1517م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1999م، ص230–232

(3) ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، (ت257هـ/871م)، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، 1930م، ص150–151؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص152–153؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، 1982م ، ص130–131.

(4) تولى مسئولية تطهير المقياس وقياس منسوب مياه النيل منذ نشأته صاحب المقياس أبا الردَّاد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الردَّاد المؤدب، بعد أن عزل الخليفة المتوكل العباسي النصارى عن هذه المهمة، وتوفي سنة(279هـ/892م)، وقيل(266هـ/880م)، واستقرت العناية بشؤون المقياس في بنيه من بعده، وصار كل من يتولى هذه المهمة يعرف بابن أبي الردَّاد. المسبحي، أخبار مصر، ص37–39؛ ابن خلكان(أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م، ج3، ص112؛ الصفدي، الوافي، ج17، ص257؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص375–376؛ إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي، ص190.

Fuʾād Saiyid, (A),La capitale de l'Egypte,pp89-91.

(5) حراقة، جمع حراقات وحراريق، نوع من السفن الحربية، استخدم لحمل الأسلحة النارية، وبها مرام لإلقاء النار على العدو، وقد استخدمت فى العصر المملوكي لنزهة السلاطين. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص47؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المجم، القاهرة، 1974م ، ص32، 36.

ويُقام هناك بعض الالعاب النارية على ظهور الحراريق، ثم يسير السلطان في حراقته الصغيرة حتى يصل إلى السد فيكسر الخليج بمعول من ذهب، ثم يعود إلى القلعة. [1]

وقد حرص كُلًا من السلاطين المماليك على حضور موكب تخلّيق المقياس، بعد وصول النيل لحد الوفاء ستة عشر ذراعًا: السلطان المنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م) في(ربيع الأول 679هـ/ يوليو1280م)،[2] والسلطان برقوق في (جمادى الأولى785هـ/1383م)،[3] والسلطان فرج بن برقوق في (صفر811هـ/يوليو1408م)،[4]والسلطان المؤيد شيخ المحمودي في (جمادى الأولى816هـ/أغسطس 1413م)،[5] وأيضًا في(جمادى الأولى818 هـ/أغسطس1415م).[6]

كما لم يشارك كثير من السلاطين في تخليق المقياس طوال فترة حكمهم إلا مرات معدودة، فهذا السلطان برسباي لم يركب لتخليق المقياس وفتح الخليج سوى مرة واحدة في (ذي القعدة833هـ/نوفمبر1420م).[7] ويبدو أنه أوكل هذه المهمة إلى أبنائه محمد[8] ويوسف(841-842هـ/1438م) بدليل حرصهما بانتظام – إلى حد ما-على الركوب لتخليق المقياس بصحبة كثير من الأمراء وكبار رجال الدولة أعوام (826هـ/1423م)،[9](828هـ/1425م)،[1](830هـ/1427م)،[2](831هـ/1428م)،[3](832هـ/1429م)،[4](

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص47-48؛ ابن دقماق(صارم الدين إبراهيم)، (ت809هـ/1407م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، 1314هـ، ج4، ص114-115؛ علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وعصر الناصر محمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية، 1944م، ص211؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص230-232؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م، ص220؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، 1994م، ص125-126؛ سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص270؛ نبيل جميل قراحيليي، الاحتفالات في عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010م، ص117-118.

Dopp,(P.H), le caire vu par les voyageurs occidentaux du moyen age, Bulletin de la société royale de géographie d'egypte, juin, 1950, p.100, Hirotake, (I), Administrators of the Festival of Wafa al-Nil in the Burji Mamluk Period: The Appearance of Maqam and its Background, Kyushu University, Bulletin of the Society for Near Eastern Studies in Japan, vol.45,no.1, 2002, p130.

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص135.

(3) المصدر السابق، ج5، ص150؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج1، ص273؛ السيوطي(الحافظ جلال الدين عبد الرحمن) ، (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1968م، ج2، ص307.

(4) المقريزي، المصدر السابق ، ج6، ص203.

(5) المصدر السابق، ص352؛ محمود رزق سليم، النيل في عصر المماليك، ص53.

(6) المصدر السابق، ص388.

(7) المصدر السابق، ج7، ص212.

(8) محمد الناصري بن الأشرف برسباي، تسلطن أبوه وله من العمر خمس سنوات، ولي منصب أمير سلاح سنة (829هـ / 1426م)استخدم عدة مماليك وأصحاب وظائف مختلفة لخدمته، توفي على إثر اصابته بالطاعون سنة(833هـ/1430م). السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص150.

(9) المقريزي، السلوك، ج7، ص81؛ السخاوي، المصدر السابق، ج7، ص150.

837هـ/1434م)[5](839هـ/1436م)،[6](840هـ/1437م)،[7](841هـ/1438م).[8]كما لم يشارك السلطان جقمق(842-857هـ/1438-1453م) في تخليق المقياس، وأوكل هذه المهمة إلى أبنائه محمد[9] وعثمان (857هـ/1453م)، اللذان حرصا على ذلك أيضا بصحبة كثير من الأمراء، وكبار رجال الدولة أعوام(844هـ/1441م)،[10](845هـ/1442م)،[11](846هـ/1443م)،[12](847هـ/1444م)،[13](848 هـ/ 1445م)[14] (853هـ/1449م)،[15] (856هـ/1452م).[16]

ولم يقتصر الركوب لتخليق المقياس على السلاطين أو أبنائهم، بل نري كبار الأمراء يشاركوا في هذا الاحتفال، فقد ركب كُلًا: الأمير الكبير برقوق[17] سنة (783هـ/1381م)[1]، والحاجب فارس[2] سنة

(1) المقريزي، المصدر السابق، ج7، ص120؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص277؛
Hirotake, (I), Administrators of the Festival, p133.

(2) المقريزي، المصدر السابق، ج7، ص155.

(3) المصدر السابق، ص178.

(4) المصدر السابق، ص194.

(5) المصدر السابق، ص272.

(6) المصدر السابق، ص297.

(7) المصدر السابق، ص325.

(8) المصدر السابق، ص341؛ سعود محمد العصفور، المناسبات والأعياد في العصر المملوكي، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع5، 2006م ، ص145.

(9) المقام الناصري ناصر الدين أبو المعالي محمد بن جقمق، ولد في القاهرة في (رجب 816هـ/أكتوبر1413م)، أمه قَرَاجا بنت أرغون شاه أمير مجلس الظاهر برقوق، حفظ القرآن الكريم وتفقه في أمور الدين، كان مُقربا ومحبوبًا من العامة، ولاه أبيه أمير مائة وتقدمة ألف، توفي(847هـ/1444م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج10، ص8-10؛ الدليل الشافي، ج2، ص610؛ النجوم الزاهرة، ج15، ص502؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص210.

(10) المقريزي، السلوك، ج7، ص460.

(11) ابن حجر، إنباء الغمر،ج4، ص180؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2002م، ج1، ص51.

(12) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص71.

(13) المصدر السابق، ص93.

(14) المصدر السابق، ص106.

(15) المصدر السابق، ص213.

(16) المصدر السابق، ج2، ص367.

(17) أبو سعيد سيف الدين الملك الظاهر برقوق بن أنص أو أنس العثماني، نسبة إلى جالبه جركس الخواجا عثمان الذي اشتراه من يلبغا الكبير سنة(764هـ/1363م) وكان اسمه الطنبغا ثم سماه برقوق لظهور نتوء في عينيه، ترقي في المناصب فكان من جملة المماليك الكتابية ليلبغا الكبير، ثم صار أمير أربعين ثم عَظُم شأنه بين الأمراء الشراكسة حتى رغبوا في تنصيبه سلطانًا سنة(784هـ/1382م)، وتلقب بالملك الظاهر، ثم خُلع وأعيد مرة ثانية للسلطنة سنة(792هـ/1390م)، وتوفي سنة (801هـ/1399م). السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص10-11؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص290.

(801هـ/1399م)،[3]والأمير يلبغا الناصري[4]، بصحبة الأمير شاهين الأفرم[5]، والأمير طوغان الحسني[6] سنة (815هـ/1413م)،[7] والأمير بيبغا المظفري[8] سنة (825هـ/1422م)، [9] وحاجب الحجاب قرقماس[10] سنة (834هـ/1431م)،[11]والأمير يشبك الأتابك [12]سنة (843هـ/1440م).[1] لتخليق المقياس وفتح الخليج. ورغم

(1) المقريزي، السلوك، ج5، ص120 .

(2) فارس القطلوقجاوي الرومي الظاهري برقوق، من مماليك الظاهر برقوق، ولي أمير عشرة ثم أمير طبلخاناه، ثم ولي الحجابة، وتوفي سنة(802هـ/1400م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج8، ص370–373؛ الدليل الشافي, ج2، ص519؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص63–64؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص164.

(3) المقريزي، السلوك، ج5، ص458.

(4) الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله الناصري الظاهري الأتابكي، ترجع نسبته بالناصري إلى جالبه خواجا ناصر الدين، من مماليك الظاهر برقوق ومن أعيان خاصكيته، ترقي في المناصب حتى وصل في عصر السلطان فرج بن برقوق إلى أمير مائه ومقدم ألف ثم حاجب الحجاب، وأتابكًا للعسكر في عصر السلطان المؤيد شيخ، توفي سنة(817هـ/1414م). ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص51؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص171–172؛ الدليل الشافي، ج2، ص794؛ النجوم الزاهرة، ج14، ص130؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص346؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص290.

(5) الأمير سيف الدين شاهين بن عبد الله بن إسلام الظاهري المعروف بشاهين كَتِكْ الأفرم من مماليك الظاهر برقوق، ولاه أمير عشرة، ثم أمير مائة مقدم ألف، وأمير سلاح في عصر الناصر فرج بن برقوق، والمؤيد شيخ، توفي سنة(818هـ/1414م). ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص43؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص207–210؛ الدليل الشافي، ج1، ص341؛ النجوم الزاهرة، ج14، ص131؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص346؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص292–293.

(6) الأمير سيف الدين طوغان بن عبد الله الحسني الظاهري، من مماليك الظاهر برقوق، ولي أمير مائة ومقدم ألف ودوادار في عصر السلطان الناصر فرج بن برقوق واستقر عليها حتى وفاته سنة(818هـ/1415م). ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص81؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص18–21؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص11.

(7) المقريزي، السلوك، ج6، ص335.

(8) الأمير سيف الدين بيبغا بن عبد الله المظفري الظاهري، من مماليك السلطان برقوق وخاصكيته، ولي أمير مائة ومقدم ألف في عصر السلطان فرج بن برقوق، واقرّه عليها المؤيد شيخ المحمودي، ثم سجنه في الإسكندرية، وأُطلق سراحه الأمير ططر بعد وفاة المؤيد، وأنعم علية بأمرة مائة وتقدمة ألف ثم أمير مجلس ثم أمير سلاح، ثم أقره برسباي أتابكًا للعسكر ثم سجن وأطلق سراحة ثانية، وتوفي بالطاعون سنة(833هـ/1429م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص489–491؛ الدليل الشافي، ج1، ص207؛ النجوم الزاهرة، ج15، ص159؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص22.

(9) المقريزي، السلوك، ج7، ص63.

(10) الأمير سيف الدين قرقماس بن عبد الله الشعباني الظاهري، من كتابية الظاهر برقوق، أعتقه الناصر فرج وصار خاصكيًا له في نهاية حكمه، ثم دوادار في عصر المؤيد شيخ، ثم ولي أمير طبلخاناة، ثم تقدمة ألف، ثم حاجب الحجاب سنة(829هـ/1426م)، وولي إمارة حلب سنة(837هـ/1434م)، ثم أمير سلاح في عصر السلطان جقمق، وأُعدم سنة(842هـ/ 1438م) على إثر محاكمته بمحاولة انقلابه على السلطان جقمق. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج9، ص57–63؛ الدليل الشافي، ج2، ص541؛ النجوم الزاهرة، ج15، ص281؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج4، ص128؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص219.

(11) المقريزي، السلوك، ج7، ص229.

(12) الأمير سيف الدين يشبك بن عبد الله الأتابكي، مملوك الأمير سودون الجلب، اشتراه الأمير ططر وأعتقه وجعله شاد الشراب خاناه، ثم أمير طبلخانه، واستمر عليها حتى سلطنة برسباي الذي أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، ثم حاجب الحُجاب، ثم أمير

الحرص السابق على تخليق المقياس وكسر الخليج، لكن قد تحول كثرة الاضطرابات والفتن دون إتمام ذلك الاحتفال، فقد امتنع السلطان فرج بن برقوق من الركوب لتخليق المقياس خِشية حدوت الفتنة بين كثير من أمرائه فركب الأمير يشبك[2] سنة(802هـ/1400م) نيابة عنه، وقام بتخلّيق المقياس.[3]

وفي بعض الأوقات ربما يكون الذهاب لتخليق المقياس، وفتح الخليج سببًا في كشف المؤامرات التي دُبرت لاغتيال السلطان، ففي (ذي القعدة 800هـ/يوليو1398م) وفّي النيل بستة عشر ذراعًا فركب السلطان برقوق لتخليق المقياس وفتح الخليج، وفي أثناء عودته كُشفت مؤامرة دُبرت لقتله على يد على باي.[4]

ورغم ارتباط تخليق المقياس بوصول النيل لحد الوفاء ستة عشر ذراعًا، ولا يقل عن ذلك بل يزيد، نجد أنه في بداية الأمر في عصر السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون في(13جمادى الأولى717هـ/ يوليو1317م)، لم يوف النيل بالحد المسموح به، لكن تمّ تخليق المقياس ثم وصل المنسوب بعد ذلك إلى حد الوفاء بل تخطاه إلى ثمانية عشر ذراعًا. [5]

ثالثًا: تخليق الأماكن العامة والبيوت

كان لكثير من الأماكن العامة، وبعض من بيوت العامة نصيب من تخلّقها بالزعفران ابتهاجًا وفرحًا بوقوع بعض الأحداث التي سارت لها صدى واسع لدى الأوساط الشعبية، فكان لنجاح الشيخ الصالح شمس الدين بن خليل[6]، في إقناع السلطان جقمق سنة (848هـ/1444م) بإعادة أجور وعوائد متولي شؤون جامع عمرو بن العاص من الأئمة والخطباء وقُراء القرآن الكريم والمؤذنين، بعدما كادت أن تُرفع وتُخفض، أن سُر العامة بهذا

مجلس في عصر السلطان جقمق، ثم أمير سلاح وأتابكًا للعسكر، توفي سنة(849هـ/1445م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص127–129؛ الدليل الشافي، ج2، ص785؛ النجوم الزاهرة، ج15، ص509؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص277.

(1) المقريزي، السلوك، ج7، ص433 .

(2) يشبك بن عبد الله الأتابكي الشعباني الظاهري برقوق، ولي في عصر السلطان برقوق أمير مائة ومقدم ألف وخازندار، صار له نفوذ كبير على غيره من الأمراء في عصر السلطان الناصر فرج بن برقوق حتى صار دوادارًا ثم أتابكًا للعسكر، وجاءت نهايته بعد أن انقلب على السلطان فرج وحاربه سنة (810هـ/1407م). المقريزي، السلوك، ج4، ص59؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج2، ص382–383؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص119–122؛ الدليل الشافي، ج2، 784؛ النجوم الزاهرة، ج13، ص170؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص278–279

(3) المقريزي، السلوك، ج6، ص34.

(4) الأمير سيف الدين على باي بن عبد الله الظاهري، أحد مماليك السلطان برقوق المقربين إليه، ولاه أمير مائه ومقدم ألف بمصر، ثم خازندار، ثم رأس نوبة، دبر مؤامرة لاغتيال السلطان برقوق سنة(800هـ/1398م)، لكن كُشفت المؤامرة وقتل على باي على أثرها. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص82–87؛ المنهل الصافي، ج8، ص246–251؛

Hirotake, (I), Administrators of the Festival , p130.

(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص523،

(6) لم نجد له ترجمة في أي من المصادر سوى ما ذكره ابن حجر بأنه عرف بتقواه وعلمه، وولاه السلطان جقمق النظر في أوقاف جامع عمرو بن العاص. التبر المسبوك، ج1، ص207.

الخبر واستقبلوا الشيخ استقبالًا حافلًا، كما احتفل به بنوه وأوقدوا له الشموع، وخلّقوا الطرقات، والأماكن العامة، وكثير من الناس بالزعفران فرحًا بذلك.[1]

وكان من نتائج الخلاف الشخصي بين أحد العامة وزوجته في شهر (رجب سنة 871هـ/فبراير 1467م)، ووصول الخلاف أقصاه لدرجة الخصام وترك المنزل، وحينما عاد الرجل لبيته سمع صوتًا من خلف جدار حائط في بيته يأمره بتقوى الله ومعاشرة زوجته بالمعروف، فظن أنه صوت أحد الجان وانتشر هذا الخبر بين جيرانه وأصحابه حتى شاع ذكره في كافة أرجاء القاهرة، وزاره الكثير خاصة النساء اللاتي جلبن إلى ذلك الحائط –على سبيل النذر– كثير من الطيب والماورد والزعفران لتخليقه به.[2]

ونتيجة لهذا التأصل والاستخدام المتنوع للزعفران التي جاء التخلُّق على رأسها، فقد حرصت غالبية طوائف المجتمع على اقتناء الكثير منه لاستخدامه للمشاركة في مختلف المناسبات المُشار إليها سابقًا، لذا أصبح الناتج المحلي منه لا يكفي، فلجأت الدولة إلى استيراد كميات كبيرة من الدول المُصدرة إليه وعلى رأسها جنوة والبندقية التي أدت الحرب الدائرة بينهما (654–782هـ/1256–1381م)، إلى وقف تصدير منتجاتهما، وبالتالي غلاء ثمن كثير من السلع ومنها الزعفران. [3]

نتائج الدراسة

1. شغف المصريون على مر العصور، بصبغة حياتهم الاجتماعية بالتنوع والتفرد، عن أي من الشعوب الأخرى فرسموا صورة البهجة في كثير من مظاهر حياتهم اليومية، على الرغم من مرورهم بكثير من الأوقات العصيبة، لكن ظلت تلك السمات راسخة، وتشهد بذلك احتفالاتهم المتنوعة التي كاد للتخلُّق بالزعفران أن يكون ركنًا أساسيًا فيها.

2. لم يكن طقس التخلق بالزعفران وليد الحقبة المملوكية، بل مُورس على أرض مصر منذ نشأة الحضارة المصرية القديمة كغيره من الطقوس، التي مرت بمراحل من التطور بلغت أقصاها في أي من العصور التي سلطت الضوء على بعضها، فجاء التخلُّق بالزعفران في تلك الحقبة التاريخية نموذجًا محاكيًا لذلك.

3. أتى التخلق بالزعفران معبرًا عن سعة المجال الاجتماعي المصري، الذي يعكس – بدوره – تعدد أنماط السلوك الحضاري عبر التاريخ؛ بما يشير إلى رغبة كامنة لدى أفراد المجتمع لتحقيق درجة عالية من التزيين المتجاوز لقواعد العيش المبسط القائم على الاكتفاء بضرورات الحياة.

4. استُخْدم نبات الزعفران في كثير من الدول في العصر الإسلامي في مختلف مجالات الحياة اليومية، لكن تفحّص مجالات استخدامه في المجتمع المصري في العصر المملوكي، كشف لنا عن استخدام إضافي

(1) المصدر السابق، ص207–208.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ق1، ج2، ص245–246.

(3) المصدر السابق، ج4، ص156.

(طقوسي)، وهو تخلق معظم طوائف المجتمع به في كثير من الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية والسياسية، حتى صارت صورة شبه رسمية.

5. لم يقتصر التخلُّق بالزعفران على البشر لرسم صورة البهجة والسرور، بل تخطى ذلك للوصول إلى تخليق بعض الوسائل التي تُظهر تلك البهجة على وجوه المصريين، فساهمت الرسائل المُخلّقة في إحداث تلك المشاعر التي أضفت محبة وتقديرًا واحترامًا للمرسل إليه.

6. رغم القدم التاريخي لاستخدام الرايات في مختلف المواقف في العصر الإسلامي، فقد مثّل تخلّيقها بالزعفران مسلكًا مستحدثًا في مصر المملوكية.

7. حرص المصريون على نظافتهم الشخصية، وجمال مناظرهم بتزيين ملابسهم وتعطيرها، فكان لتخليقها بالزعفران جانب من تلك الزينة، ولطيب رائحته أيضًا اعتادوا على تخليق أكفان مواتهم به.

8. لم يقتصر طقس التخلّق بالزعفران على توطيد علاقة أعضاء المجتمع بالجوانب المادية في الحياة اليومية، بل امتد للتوغل في الأبعاد المعنوية ذات المكانة المهمة لدى المصريين، حيث حرصوا على تخليق كثير من المنشآت الدينية؛ نظراً لمكانتها الروحية في صدورهم.

9. اهتمام المصريين بنهر النيل كونه شريان الحياة الرئيسي، والاهتمام بالمنشآت المائية – وعلى رأسها مقياس النيل – التي كان لتخلقها بالزعفران صورة اجتماعية تحتفل بها قاعدة عريضة من المجتمع المصري.

10. ساهمت بعض الأحداث التي لها صدى واسع في المجتمع المصري، في استخدام طقس التخلق بالزعفران في الأماكن المرتبطة بتلك الحدث أو القريبة منه.

11. نتيجة لكثرة استخدام نبات الزعفران التي جاء التخلق على رأسها، أصبح الناتج المحلي منه لا يكفي لسد حاجات العامة والخاصة على السواء، لذا توجهت الدولة للاستيراد.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

- ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي)، (ت729هـ/ 1329م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.
- الإشبيلي (أبو الخير)، (ق6هـ/12م)، عمدة الطيب في معرفة النبات، ج1، تقديم وتحقيق: محمد العربي الخطابي، الرباط، 1990م.
- الأصبهاني (محمد بن عمر بن أحمد)، (ت581هـ/1185م)، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، ج1، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1988م.
- ابن إياس (محمد بن أحمد)، (930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، ق2 ، ج2، 3، 4، 5، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983م.

- ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله)، (ت736هـ/1336م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج2، تحقيق: إدوارد بدين، بيروت، 1994م.
- البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، (ت256هـ/870م)، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2002م.
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- ابن البيطار (ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد)، (646هـ/1248)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)،(ت874هـ/1470م):
  - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3،2، 4، 6، 7 ،11 ،12، 13، 14، 15، 16، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،1963م.
  - الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج1، 2، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م.
  - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج3، 4، 6، 7، 8، 9، 10، 12، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2006م.
  - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج1، 2، تحقيق: محمد كمال عز الدين، ط1، عالم الكتب، 1990م.
- ابن الجزار (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم)، (ت369هـ/979م):
  - طب الفقراء والمساكين، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق العسلي، بيت الحكمة، تونس، 2009م.
  - كتاب في فنون الطيب والعطر، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق العسلي، بيت الحكمة، تونس، 2007م.
- ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن المقر)، (930هـ/1524م)، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1974م.
- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت852هـ/1448م):
  - إنباء الغمر بأنباء العمر، ج1، 2، 3، 4، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، 1969م.
  - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج5، 6، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م.
  - ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، القاهرة، 1992م.
- الحميري (نشوان بن سعيد)، (ت573هـ/1177م)، شمس العلوم، ج3، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، 1999م.
- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م.

- الرازي (محمد بن أبي بكر)، (ت666هـ/1268)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم)، (ت809هـ/1407م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، بولاق، 1314هـ.
- ابن زنبل الرمال، (ت979هـ/1572م)، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998م.
- ابن الزيات (شمس الدين محمد)، (ت814هـ/1411م)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1907م.
- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب)، (ت771هـ/1370م) معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، 1948م.
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، (ت902هـ/1497م):
  - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، 5، 6، 7، 10، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
  - التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج1، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2002م.
- ابن سيده (أبي الحسن على بن إسماعيل)، (ت458هـ/1066م)، المحكم والمحيط الأعظم، ج6، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
- سيرة الظاهر بيبرس، ج1، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1996م.
- السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، (ت911هـ/1505م):
  - نظم العقيان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927م.
  - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، 1968م .
- شلبي (أحمد عبد الغني)، (ت1150هـ/1737م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات الملقب "بالتاريخ العيني"، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978م.
- الشيزري (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله)، (ت590هـ/1194م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1946م.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، (ت764هـ/1363م):
  - أعيان العصر وأعوان النصر، ج4، تحقيق: نبيل أبو زيد وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م.
  - الوافي بالوفيات، ج2، 17، تحقيق: أحمد الأرنأووط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2000م.
- الصيرفي (الخطيب الجوهري على بن داود)، (ت900هـ/1495م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، 4، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، 1971م.

- ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني)، (ت617هـ/1220م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتايز شتوتغارت، 1992م.
- ابن ظهيرة (محمد قطب الدين أبو الخير)، (ت910هـ/1505م)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، ملتقى أهل الأثر،1969م.
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)،(ت257هـ/871م)، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، 1930م.
- ابن عبد الظاهر (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين)، (ت692هـ/1292م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط1، الدار العربية، القاهرة، 1996م.
- العيني (بدر الدين محمود)، (ت855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، عصر سلاطين المماليك، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، 2010م.
- الغزي (نجم الدين محمد بن محمد)،(ت1061هـ/1651م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- الغساني (أبو القاسم محمد بن إبراهيم)، (ت1019هـ/1611م)، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على)، (ت732هـ/1332م) المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية المصرية، 1907م.
- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم)، (ت807هـ/1405م)، تاريخ ابن الفرات، ، مج9، ج2، تحقيق: قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، المطبعة الأمير كانية، بيروت، 1938م.
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي)، (ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج25، تحقيق: مهدي النجم، بيروت، 2010م.
- الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، (817هـ/1414م)، القاموس المحيط، ج2، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت.
- القلقشندي (أبو العباس احمد بن على)، (ت821 هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، 4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.
- الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف)، (ت 350هـ/961م)، الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
- ابن المأمون (جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحي)،(ت588هـ/1192م)، نصوص من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1983م.
- المسبحي (محمد بن عبيد الله بن أحمد)، (ت420هـ/1029م)، أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق وتقديم: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1978م.
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن على)، (ت845هـ/1442م):

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ، ج1، 2، 4، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2002م.
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج2، ج3، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، 1996م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، 2، 5، 6، 7، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج1، 3، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

- ابن مماتي (الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا)، (ت606هـ/1209م)، قوانين الدواوين، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على)،(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ج3، 10، دار المعارف، 1981 م.
- ابن مهران العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)، (ت395هـ/1005م)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1997م.
- مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق ودراسة: محمد عيسى صالحية، إحسان صدقي العمد، ط1، الكويت، 1984م.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، (ت733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج11، تحقيق: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م ؛ ج12، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م؛ ج18، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت،2004م.
- ابن هبيرة (أبو المظفر يحيى بن محمد)، (ت560هـ/1165م)، الإفصاح عن معاني الصحاح، ج5، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، مكة المكرمة، 1417هـ.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي)، (ت626 هـ/1229م)، معجم البلدان، ج4، بيروت، د.ت

ثانيًا: المراجع العربية

- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، 1997م.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق، 2004م.
- أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن المماليك دراسة عن الرشوة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1979م.
- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت.

- أيمن فؤاد سيد:
  - الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، 2007م.
  - القاهرة خططها وتطورها العمراني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015م.
- جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م.
- حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك(687-784هـ/1279-1382م) دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1994م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.
- درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المجم، القاهرة، 1974م
- سعاد ماهر محمد:
  - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1973م.
  - القاهرة القديمة وأحياؤها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، أكتوبر، 1962م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م
- السيد محمد الدقن، السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، 2003م.
- عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، 1999م.
- عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، 1982م.
- علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وعصر الناصر محمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية،1944م.
- على مبارك، الخطط التوفيقة الجديدة، ج2، ج4، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، 1306هـ.
- عواطف عبد الباري، تذكرة داود: دراسة شاملة لما ورد في التذكرة من أعشاب ونباتات في ضوء الطب والعلم الحديث، دار الطلائع للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م.
- قاسم عبدة قاسم:
  - النيل والمجتمع المصري، دار المعارف، 1987م.
  - عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، 1994م
- محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية(648-923هـ/1250-1517م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1999م.
- محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، 2004م.

- محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط1، الآفاق العربية،1999م.
- محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة،2010م.
- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، ج1، تقديم: عمر الفاروق السيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس، بيروت، 1997م.
- محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1983م.
- محمود رزق سليم، النيل في عصر المماليك، دار القلم، القاهرة، 1965م.

ثالثًا: الدوريات العلمية

- أسيا بنت سليمان النقلي، الطواشية ودورهم في دولة سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع22، 2007م.
- جهاد عبد الوهاب شلبي وآخرون، قصر الزعفران بالقاهرة(1863–1879م) دراسة تاريخية سياحية، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة المنصورة،ع2، مج2، ديسمبر، 2017م.
- حسن حبشي، هجوم القبارصة على الإسكندرية(767هـ/1365م) من نصوص جديدة للنويري، المجلة المصرية التاريخية، مج15، 1969م.
- سعود محمد العصفور، المناسبات والأعياد في العصر المملوكي، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع5، 2006م.
- عبد العزيز بن فايز بن حسن القبلي، تمردات المماليك الجلبان ومدلولاتها السياسية والاقتصادية في عهد السلطان قايتباي، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ع39 ، 2019م.
- عبير عنايت سعيد، خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية(648–784هـ/1250–1382م)، مجلة الأستاذ، ع203، 2012م.
- فتحي سالم حميدي، المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية(678–922هـ/1279–1516م)، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج8، ع4، 2009م.
- مسعد سيد محمد كتبي، الأمير المملوكي يلبغا السالمي حياته وجهوده (ت811هـ/1408م)، مجلة كلية اللغة العربية، المنصورة، ع 35، مج2، 2016م.
- مصطفى وجيه مصطفى إبراهيم، الاحتفالات القومية صورة من صور التعايش السلمي في مصر زمن الدولة الفاطمية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، ع48، 2018م.

رابعًا: الرسائل العلمية

- أحمد ماجد عبد الله الجبوري، أحوال العامة في مصر في عصر المماليك البرجية(784–923هـ/1382–1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة آل البيت، 2015م.

- عادل شريف علام، الأعمال المعمارية ليوسف بن عبد الكريم بن بركه الشهير بالجمالي يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، 1982م.
- نبيل جميل قرحيلي، الاحتفالات في عصر المماليك (648-922هـ/1250-1516م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010م.
- نجوى إسماعيل محمد، الحسبة في عصر المماليك(648-923هـ/1250-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة/ جامعة أم درمان، 2002م.

خامسًا: المراجع الأجنبية

- Dopp,(P.H), le caire vu par les voyageurs occidentaux du moyen age, Bulletin de la société royale de géographie d'egypte, juin, 1950.
- Fuʾād Saiyid, (A),La capitale de l'Egypte jusqu'a l'epoque fatimide al-Qāhira et al-Fusṭāṭ,Stuttgart ,Orient-Institut ,Beirut, 1998.
- Gsell,(S), Histoire de l'Afrique du nord, T. IV. La Civilisation Carthaginoise, Librairie Hachette, Paris,1920.
- Hirotake, (I), Administrators of the Festival of Wafa al-Nil in the Burji Mamluk Period: The Appearance of Maqam and its Background, Kyushu University, Bulletin of the Society for Near Eastern Studies in Japan, vol.45,no.1, 2002.
- Javadi, (B), Sahebkar (A), Emami(S), A Survey on Saffron in Major Islamic Traditional Medicine Books, Article in Iranian Journal of Basic Medical Science , Vol. 16, No. 1, Jan 2013.
- Marino (D), Raconter le haschich dans l'époque mamelouke. Étude et edition critique partielle de la Rāḥat al-arwāḥ fī l-ḥašīš wa-l-rāḥ de Badr al-Dīn Abū l-Tuqā al-Badrī (847-894/1443-1489), Università degli Studi di Napoli L'Orientale , thèse de doctorat,2015.
- Wiet, (G), Catalogue général du musée de l'art islamique du Caire, inscriptions historiques sur pierre, Le Caire : Institut Français d'Archéologie Orientale, 1971.

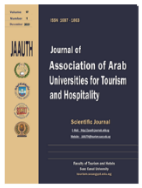

Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality (JAAUTH)
Vol. 20 No. 4, (2021), pp. 396-426.
journal homepage: http://jaauth.journals.ekb.eg

Perfuming Saffron in Egypt in The Era of The Mamluk Sultans: (648-923AH/1250-1517AD)

Mohamed Gamal Hammad
The High Institute for Tourism, Hotels and Antiquities Restoration Abu Qir, Alexandria

ARTICLE INFO

Keywords:
Perfuming Saffron; Saffron; Habits; Nilometer; Strata of society.

(JAAUTH)
Vol. 20, No. 4, (2021),
PP.396-426.

ABSTRACT

When we look at the historical trajectory of any civilization as a gradual process of moving patterns of life from simplicity and fulfillment of necessities to complexity and diversity of requirements. By virtue of the Egyptian civilization historical precedence, it had a distinguished precedent in capturing every material of nature that contributed to achieve ritual richness. Where ritual practices were one of the most important features of Egyptian civilization throughout the history of its social and religious activities, And manifested itself portrayed in the Islamic era, especially since the Mamluk era, At an early age, patterns of group communication moved from the level of seeking to provide the "necessities" of living to the level of concern for achieving "improvements" in life. Our gateway to examining an aspect of this passion for rituals and achieving improvements will be to observe pages of the Egyptian history of Perfuming saffron on various occasions in the Mamluk era . Through an initial observation which indicated that Perfuming saffron consider a ritual that took place in social situations differed in the nature of its emotional component and varied in the nature of it's psychological effect, the behavior of Perfuming saffron included all classes of Egyptian society, where rulers use it as well as members of the common Egyptian people. The current study revolves around that historical period, with the beginning of the linguistic and idiomatic definition of Perfuming saffron, followed by an explanation of the various uses of the saffron plant. There are also some references that explain the precedence of the ancient Egyptian civilization to practice the ritual of perfuming saffron until the establishment of the Mamluk state, it became a prominent mark of the diversity of its images among the Strata of society in various situations that sometimes express joy and happiness, as well as show schadenfreude, the sources also mentioned pictures of the of perfuming messages, banners, clothing, shrouds, religious and civil architectural structures with saffron.